إلغاء البطاقة التموينية يمكن أن يحل مشكلة أكثر من مليوني عاطل عن العمل

سعد حسين

أكدت مصادر وزارة التجارة حسبما نشرته الصحافة المحلية مؤخرا، ان حجم التخصيصات المالية لتمويل البطاقة التموينية يبلغ ثلاثة مليارات دولار اميركي وهذا يعني استمرار العمل بهذا النظام خلال العام الجاري ايضا، مفندا المزاعم والشائعات التي ذكرت ان توزيع المواد الغذائية بموجب البطاقة سيتوقف بعد زوال الأسباب الموجبة لها، وهي رفع الحظر الاقتصادي عن العراق وما أعقبها من زيادات كبيرة في سلم رواتب منتسبي الدولة والمتقاعدين وإعادة المفصولين وتخصيص رواتب للمشمولين بالرعاية الاجتماعية لأسر الشهداء والمفقودين في الحروب والمهجرين والفئات الضعيفة الاخرى.

على الرغم من رفع المستوى المعاشي والقدرة الشرائية لعموم العراقيين، ما تزال هناك شريحة من الطبقات الفقيرة التي ليس لها أي مورد معيشي او ان مواردها متدن لا يكفي ولا يتناسب مع عدد أفراد الاسرة ومتطلبات الحياة، وهذه الشريحة من المجتمع لا تستطيع الإستغناء عن مفردات البطاقة التموينية، فهي تعتمد عليها بشكل أساس لمواصلة الحياة، فيما تخشى فئات اخرى في المجتمع تحسنت أحوالها المعيشية نوعا ما وخاصة فئة المتقاعدين وذوي الدخل الواطيء ان يؤدي الغاء نظام البطاقة التموينية الى ارتفاع حاد في اسعار المواد الغذائية الأساسية كالسكر والزيت والرز والطحين وبالتالي سيؤثر ذلك على هبوط قدراتهم الشرائية مجددا بعد ان تحسنت لأول مرة منذ عام ١٩٩٠، إذ أصبح بإمكانهم اليوم الإستفادة من نسبة من الزيادة التي طرأت على مدخولاتهم لشراء سلع غير غذائية كالألبسة والأثاث والمستلزمات البيتية والإنفاق علي العلاج الطبي الخاص ومواصلة التعليم للأبناء، اما الطبقات الغنية ذات الدخل العالي والمتوسط الذي يفيض عن الحاجة، فأنها في الحقيقة إستغنت عن مفردات البطاقة وإعتادت ان تتسلم بدلا نقديا من الوكيل مقابل اسعار المواد المشمولة بالبطاقة وربما يعود سبب ذلك عزوفها عن إستهلاك هذه المواد وتفضيل انواعا جيدة اخرى معروضة في السوق المحلية، وهذا يعني أن الغاء البطاقة التموينية لن يؤثر على انخفاض المستوى المعيشي لهذه الفئة من المجتمع.

ومع ان مفردات البطاقة التموينية بقيت على وضعها من حيث عدد مفرداتها ولم تتغير بعض أنواعها الرديئة كالدهن والطحين عما كانت عليه في العهد السابق، الا انها مع ذلك لا تستلم كاملة من الوكيل ويشتكي الكثير من العراقيين عدم تسلمهم كامل المفردات التي لم يطرأ على معظمها تحسن، بل ان البقوليات قد الغيت منها رغم ان تخصيصات البطاقة التموينية قد ازدادت وربما تضاعفت مبالغها مقارنة في العهد السابق حتى وصلت اليوم الى ما يزيد عن "٣" مليارات دولار.

ان هذا المبلغ الكبير المخصص للبطاقة التموينية ليس له نظير في دول اخرى سواء كانت غنية الموارد كالعراق أم فقيرة، على حد علمي لا توجد دولة تواصل تقديم المساعدة الغذائية المجانية لشعبها بعد زوال الأسباب الموجبة والقاهرة كالحصار الاقتصادي والحروب والكوارث الطبيعية، بل ان بعض الدول ترفع الرسوم او تقدم دعما لنوع من المادة الغذائية كالطحين مثلما هو الحال في مصر لغرض تخفيض سعر الخبز في السوق وليس توزيع الطحين مجانا. ان مبلغ ثلاثة مليارات دولار تشكل حوالي ١٠% من عائدات النفط وتعادل ميزانيات عدة دول افريقية، ولذلك لا بد من استثمار هذا المبلغ وانفاقه في مجالات حيوية تتعدى الفائدة المرجوة من البطاقة التموينية، خاصة وان الحديث يدور على ان نصف المبلغ يصرف على عمليات خزن ونقل وتوزيع المواد الغذائية فيما تداولت شائعات حول وجود تلاعبات في استبدال الطحين الابيض بآخر أقل جودة او سرقات لمواد وبكميات كبيرة تعاقدت الدولة على شرائها ولم تصل الى المنتفعين بها من فقراء العراق، والبعض يقول ان العراق يتعاقد على شراء مواد من الدرجة الثانية أو الثالثة في حين تسجل أثمانها على انها من الدرجة الاولى وخاصة الطحين، والسرقات لقوت الشعب تبدأ ايضا من وصول البواخر الى الموانيء وتفريغها وشحنها في الناقلات وخزنها.. الى تلاعب أصحاب المطاحن بنوع الطحين ومشاكل الوكلاء وغيرها، وأعتقد ان مصادر صحية رسمية اكدت اكثر من مرة على عدم صلاحية احدى المفردات المستوردة لعدم تطابقها مع المواصفات المطلوبة للإستهلاك البشري.

فاذا كان الامر كذلك، لماذا اذن لا يستفاد من مبلغ البطاقة التموينية لحل مشكلات ومعضلات يعاني منها المجتمع منذ سنين وتشكل احدى الاسباب التي تهدد استقرار المجتمع الا وهي حل مشاكل البطالة والفقر المدقع. اذا وزعنا مبلغ "٣" مليار دولار على مليوني ونصف المليون عاطل فهذا يعني صرف "١٥٠" الف دينار تقريبا لكل عاطل لحين ايجاد فرصة عمل له وبالتالي نكون قد ساعدنا ما يقرب ٦-٧ مليون عراقي بعد اضافة عدد افراد الاسر التي سيتم إعالتها، اما اذا منحنا لكل عاطل "٣٠٠" الف دينار عراقي فهذا يعني اننا قدمنا المساعدة لمليون وربع المليون عاطل وإعالة ما يقرب من "٤" ملايين عراقي.

وبهذا نكون قد وفرنا على وزارة التجارة والاخرين عناء توزيع وايصال مفردات البطاقة التموينية للعائلات العراقية.

بلا شك ان العاملين في قطاع البطاقة التموينية سيتوجهون للعمل في القطاع الخاص الذي سينتعش بقيامه بإستيراد المواد الغذائية وعندها ستحصل المنافسة المشروعة لإستيراد اجود الانواع وستزداد حركة باعة الجملة والمفرد في السوق وسيكون المواطن حرا في اختيار المفردات الغذائية دون اية مشاكل وسيتم القضاء على السرقات والتلاعبات وسيسعد الملايين من المحرومين بتوفير مصدر عيش لهم.

صورة المجتمع المدني

إعداد وتحرير: ناصر عبد الله

تشكل الأحزاب السياسية والنقابات بحضورها المكثف الجسم الرئيس للمجتمع المدني، إن إدراج اللغة السياسية وامتصاصها لمصطلح المجتمع المدني جاء متأخرا، رغم كون عناصره المادية ليست جديدة، فهي قائمة منذ عشرات السنين في الأقل.

وإذا أردنا أن نجتهد في صياغة تعريف أولي مبسط، للمجتمع المدني فيبدو لي إنه الجسم الاجتماعي أو السياسي أو كليهما الذي يضم التشكيلات والتنظيمات والنقابات والهيئات والشخصيات التي تمارس النشاط والتأثير العام بمعزل عن الهيمنة أو التوجيه الحكومي مستلهمة المصالح العامة للمجتمع وقواه المنتجة، وبوحي من هذا التعريف الذي أظنه تبسيطا مخلا، يبدو أن المجتمع المدني هو الطرف الثاني في معادلة الفعل العام فحتى لا يئن المجتمع بكليته تحت وطأة انفرادية الفعل الحكومي فإن المجتمع المدني يبدو عنصر التوازن في السياسية والفعل المجتمعي الأعم، وهكذا يغدو المجتمع المدني شريكا فاعلا، فهو لا يحكم وانما يؤثر على الحاكم، وهو لا يحرم السياسة وإنما يظل حاضرا في ذهن من يقررها.

لهذا الشريك المدني أهمية استثنائية حتى في مجتمع بدائي ديمقراطي، إن الوزن المعنوي لهذا الجسم المدني لا يمكن تجاوزه دون التضحية بالاستقرار النسبي للمجتمع، ولجاذبيته المتزايدة إذ سرعان ما أصبحت مؤسساته منابر للرأي، تساهم في صنع الآراء العامة، وباتت رموزها اعلاما ومعالم على لوحة الحركة النشطة للمجتمع وهذا ما شكل مطمع جذب لعشاق الأضواء والوصوليين ومجانين الشهرة في مختلف الألوان السياسية والايدلوجية إذ يستطيعون بسهولة أن يحتلوا موقعا متقدما في الواجهات المدنية سواء في الأحزاب أو في النقابات أو في الهيئات الأهلية الأخرى وفي ظن بعضهم إن احتلال واجهات المجتمع المدني يجعل الموقع الرسمي أقرب منالا، وعلى مرمى غمزة عين انتهازية. ومن الطبيعي الافتراض أن ميادين العمل العام هي مجال عمل تطوعي تستحق كل الاحترام والتقدير ولكن رمز الطفيليين والوصوليين لا ترى فيه أكثر من مطية تمثل فرسانها الملفقين الى جنة الامتيازات.

وفي الأصل فإن قيادة مجموعة ما هي إلا تعبير عن رغبة غالبية المجموعة وليست تلبية لرغبة شخصية مرضية، ومع هذا فإن المشاهدات تؤكد إن عددا لا يستهان به من الأشخاص ينجحون بالتلفيق والخداع والتآمر لاحتلال الواجهة ويتم هذا غالبا وسط لا مبالاة القاعدة الواسعة التي يندر أن تقطع الطريق على انتهازي طموح في الوقت المناسب.

ويعزز ضعف البنى الحزبية والفقر الثقافي إمكانية تزايد أعداد الشخصيات الهامشية التي ترى في الهيئات العامة مرابض قنص سهلة للصعود الكاذب، وهذه الشخصيات في العادة تنجح في تجنب اختبار كفاءة واستحقاق، وتبقى على الوهم بأنها تنطوي على قدرات ستنفجر مع أول فرصة أو صيد سمين وهي قدرات تنجح فقط في تمييع مؤسسات المجتمع المدني وتسويقها احيانا وتبهت صورتها واظهارها كمواقع سهلة رخيصة، وساحة حروب صغيرة وحشية لشل الجماعات التي تتمحور حول خطوط الانقسام التقليدية للمجتمع فتتداخل الصور، وتغتصب المعاني وتموه التفاهة ليظهر التافهون مثقفين كبارا وأساتذة جهابذة ومناضلين بسلاء، وهو حال لا يبرره سوى وضع عام يستطيع فيه جاهل أن يصبح موهوبا بالواسطة المذمومة، أو عبقريا بقرار الأغلبية الديمقراطية إذ اقتضى الأمر وإذا لم يكن التزوير والانتحال الفكري والسياسي هو كلمة السر الخفية فكيف تفسر التواجد المشين لأشخاص قاصرين ومفلسين في مواقع قيادية متقدمة؟، هناك قيادات أكثر من أن تحصى صنعتها الشهرة فقط دون أن تنطوي على أية قدرات ومزايا رفيعة واستثنائية تعتبر منطقيا مؤهلا حتميا للقيادة في خدمة جمهورها ومجتمعها. وسواء بموالاة السلطة أو عارضتها لا يعدم هؤلاء الطفيليون فرصتهم ووسائلهم، الاسترخاء النسبي لعضلات السلطة، واستنشاق المجتمع لنسائم الديمقراطية نجدهم ينفذون من بوابات المجتمع المدني ولا بأس من مداخل المعارضة إذا كان الهدف هو رفع سقف الكاذب، لتمارس أخيرا حالة ابتزاز جماعية بحق المجتمع. فالشهرة تعني إن الاحترام العام بات مضمونا بل مستحقا وفقا لها احتراما استثنائيا يليق بالشهرة الرفيعة، لتمارس أخيرا حالة ابتزاز جماعية بحق المجتمع.

فالشهرة تعني إن الاحترام العام بات مضمونا بل مستحقا، إذ ينحني الذهن الشعبي صاغرا أمام هذه الشخصية لمجرد إنها باتت مشهورة، وهناك حيز واسع في فضاء الخيال الشعبي ترتبط فيه الشهرة بمكانة الشخص وإذا ما ارتبطت شهرة فرد ما بأعمال بهلوانية استعراضية فقد يصعد هذا الفرد الى قمة البطولة، ومن هنا يبرز سبب آخر لظهور أشخاص يقاتلون للتميز، للظهور، للتعري أمام الأضواء.

"وهذا تلاعب لا يمكن اخلاقيا التسامح معه" ومن سوء الحظ أن هؤلاء يحققون النجاح أحيانا ورغم إنهم نتاج خالص لشهرة فقيرة جوفاء فإنهم يقفزون من الحالة الصفرية الى حالة تحظى بتزكية أدبية جمعية الى حد ما، وهي تزكية تتحرك باتجاه غير قابل للارتداد إذ تترسخ صورة اسمنتية في ذهن جمعي قلما يقبل المراجعة فاتحا بذلك الطريق أمام شخصية مضللة مؤهلة بتذاكر عبور مزورة لأكثر من اتجاه واحيانا باتجاه الطبقات العليا ولتظهر الصورة بوضوح أكبر ما يمكن.

المساومة.

لا يتوقف المراقب عند سطح الظاهرة فعند التوغل في عمق ظاهرة التطاحن على واجهات المجتمع المدني نلاحظ اننا ننتمي لمجتمع تعتبر فيه الشهرة بحد ذاتها مكسبا صافيا، ويثمن المجتمع عاليا شهرة الأفراد ويميل الذهن الشعبي النمطي لتخيل قدرة ما خفية في الشخص المشهور يستحق وفقا لها احتراما استثنائيا يليق بالشهرة الرفيعة، إن شهرة شخصية ما يكسبها ملامح الوجاهة المبتغاة التي تنتشي بحالة التسامي

العراقي وأحلام الهجرة

ذنون محمد/ تلكيف

عاش العراق حقبة من الزمن في ظل ظروف أمنية غير طبيعية أدت الى جملة من النتائج التي أثقلت الجسد العراقي المثخن بطبيعته بأوبئة اخرى. فمن جملة هذه النتائج أنها جعلت تفكير المواطن العراقي ينصب نحو حلم الهجرة وترك أكثر من أثر جميل في هذا البلد ولينطلق صوب بلاد تعيش في بحبوحة من الأمن وفي ظل ظروف إقتصادية تسد ضالته وتبعد شبح الجوع الذي بات يخيم على عوائل عديدة. الإنسان بطبيعته وهو قياس يؤمن به الإجتماعيون، يبحث عن السكون والهدوء وعوامل إستقرارية اخرى ويرفض في داخله نزعة الشر التي تؤدي الى الدمار وفقدان عوامل الإستقرار، هذه العوامل مجتمعة ترسبت في نفسية العراقي وجعلت حلم الهجرة أمنية تراوده في كل لحظة فبات يشد الرحال الى بلاد بعيدة أملا ان يقضي بقية حياته في بلاد تنعم بالرخاء وتوفر له كل متطلبات العيش الرغيد. فكتب على العراقي ان يكون سفيرا متجولا في بلدان عدة وهو يشد الرحال من مكان الى آخر.

فطبيعة النفس البشرية تواقة للبحث عن الأجواء التي توفر لها الإستقرار وترفض ما يعكر ذلك فمن أجل ذلك أصبح العراقي يتطلع للخروج من الحالة العراقية الى المكان الأرحب الذي تطمئن له النفس وتوفر له الأجواء التي تعطي للحياة معنى آخر. فقد جاب إلعراقي شوارع نيويورك وملبورن وبرلين بحثا عن أحلامه الجميلة وأملا ان يجد مبتغاه، ولكن يبقى الجرح العراقي حاضرا وتبقى الأرض العراقية لها آثارها فيتولد الحنين الى البلد الذي عاش فيه الإنسان وعلى أرضه خطت أقدامه مشيتها الأولى، ذلك هو العراق الذي ما ودعه مواطن إلا وسكب على أرضه الدموع الغزيرة، أنه العشق الذي ينهض ثائرا في بلاد الغربة عندما تذوق النفس العراقية معنى الإغتراب، أنه العشق الذي ولد بفطرة الإنسان. فهكذا أصبح قدر العراقي ان يسافر ويتجول في بلاد الله الواسعة ولكن تبقى نظرته عراقية بامتياز، نسمع مرات خطابات لبعض العراقيين المغتربين وهم يفركون أصابعهم ندما على فراق طالت أيامه وجرحا زادت الغربة من عذاباته. يقول شعراء المهجر أن قابليتهم الشعرية قد تفتحت وازدادت عذوبة بعد ان ذاقوا مرارة الغربة فأشرقت في الصدور ونطقت الألسن بأنواع القصائد التي تغنت للوطن والحنين اليه فكانت هذه القابليات نسيجا من التلون بعذابات الإنسان وهمومه بعد ان ودع الوطن مرغما وبعد ان جعله الزمن ينسج أبيات شعرية جميلة تتغنى لعشق لا ينقطع وده.

فيا ابن بلدي أينما وطأت قدماك إعلم أن العراق مهما تلبدت بسمائه الغيوم فلا بد لها ان تزول وتسطع شمس الحياة مرة اخرى، هكذا هي إرادة الله منذ ان بزغت الشمس ضياؤها الأول، واعلم أن العراق هو العشق الدائم وهو النسيم الجميل الذي يعطر العشاق بنكهته وهو ملاذنا الأول والأخير واعلم أخيرا انك أينما كنت فأنك غريب عراقي.

ومهما وفرت لك من مغريات فسوف تبقى مواطنا من الدرجة الثانية.

متى؟

أمنية صغيرة أصبحت في متناول ألسنتنا، نسأل هذا وننتظر الرد من ذاك. متى يعود الأمن المفقود الى ربوع الوطن؟، متى يعيش العراقي حياته وهو مطمئن على أطفاله عندما يذهبون الى المدارس وعندما يعودون؟. بضحكات بريئة لا تعلم من الحياة ومآسيها التي أصبحنا نتلوى بها إلا قهقهات يطلقها الصغير تحت مرمى العبوات الناسفة وأزيز الطائرات العملاقة. أي طفولة هذه التي يحياها من يعيش هكذا مأساة وهو يحلم بالأشياء الجميلة والغد المشرق الزاهر الذي يعيد الإشراقة التي سُلبت في وضح النهار بعد أن فقد الكبار كل الإعتبارات وباتوا يخوضون في صراعات العهود المظلمة والأمجاد الزائفة ليبنوا من جديد سلالات دموية وصفحات من التاريخ مغطى بوشاح أسود تعيد زمن القراصنة والعضلات المفتولة حيث تهدم هذه الصراعات ما تبنيه أحلام الطفولة الخالية من كل مظاهر القتل والدمار.

أن ما يحصل حاليا لا يرضاه طفل بعمر الزهور ينظر الى المستقبل بعين ملؤها الحنين والغبطة الى إشراقة يوم جميل لتخط الأحرف الأولى لعهد جديد في زمن أريد له ان يكون دمويا يتعامل بمنطق الأقوياء والإعتبارات الإنسانية المفقودة ويريد ان يعيد عقارب الساعة الى الوراء فحشرنا أنفسنا في زاوية الضياع. ما هكذا تربى الأجيال، وما هكذا يخط التاريخ أحرفه الذهبية، فمن أجل إبتسامة طفل لا يعلم ليومه كيف يسير ولا لمستقبله كيف يكتب. إعملوا من أجل العراق الذي هو غايتنا الأولى ومستقبلنا الواحد الذي جميعا نستريح بظله منذ ان فجرت الحضارة أحرفها وخطوطها الأولى. فجمعت أبناء البلد دون ان تشخص لهذا مكانة وذاك مكانة اخرى.

فيا أيها الكبار من أجل العراق وأبنائه الذين تحملوا مناخات الماضي، أرسموا الغد بإرادة واحدة من أجل إبتسامة طفل برينة.

أن ما نحن بحاجة إليه هو الولاء للبلد الذي تكوّن بفعل إنصهار مكوناته منذ أمد طويل بعد ان تجسدت الوحدة ضمن أحرف التاريخ التي كتبها أبناؤه دون تفريق من أحد ودون منة تذكر فليس عيبا ولا عارا ونحن مقبلون على تشكيل حكومة وطنية ان أتنازل لأخي بعض مطالبي فحتى لا يكون النزيف مستمر، علينا ان نعمل لأجل العراق الذي جسد وحدته منذ عقود طويلة بعد ان إنصهرت مكوناته في بودقة واحدة بعيدة كل البعد عن كل نفس طائفي يُذكر. فمتى هذه نضعها في مسامع الكبار علها تجد أذانا صاغية لتحقق أمنية الصغار في بناء ورسم الغد الذي نأمل به جميعا ليكون باسقا في الفضاء ونمسح جميعا دمعة عزيزة ما زالت باقية على ملامح طفل عراقي.

فرح مع إيقاف التنفيذ

نواف خلف السنجاري/ بحزاني

في ليلة تختلف عن جميع ليالي شهر شباط من ذلك العام وكل سني التاريخ التي سبقته، وتحديدا في السابع والعشرين منه، رزق صديقي بطفله الأول، لازالت تفاصيل تلك الليلة منقوشة في ذاكرتي فقد سمعتها منه في اليوم التالي، كان يحكي بشوق كطفل يتمتع بقطعة حلوى وقال لي: أويت الى فراشي مخمورا، تعبا ولا مباليا كما هو شأني دائما.. استيقظت على أنين زوجتي بعد منتصف الليل وأدركت حالا بان موعد ولادة طفلي أصبح وشيكا، نهضت بسرعة لا اعرف كيف أتصرف.. كنت أتخبط، لان مفعول الكحول لم يفارق راسي بعد.. ارتديت ملابسي بسرعة و خرجت متوجها إلى منزل جارنا "حسن" وطرقت بابهم كالمجنون.. خرج الجار مذهولا "إنها الثانية و النصف" وقبل أن يكمل كلامه قلت له: يجب ان توصلنا بسرعة الى المستشفى، اخرج سيارته وخلال دقائق كنا في طريقنا الى هناك.

بدأت خيوط الفجر تلوح وأنا اذرع قاعة الانتظار بخطوات قلقة، رميت علبة السجائر وأشعلت آخر لفافة فيها.. عندها ظهرت ممرضة مرافقة لوالدتي والابتسامة على وجهيهما وقبل أن ابادرهما الحديث قالت الممرضة بابتسامتها الملائكية: "اعطني البشرى فقد رزقت بطفل جميل".

عدنا إلى البيت ومعنا طفل صغير "زائر حبيب" لم أر ملامح وجهه بعد.. المفاجئة والذهول يشلان تفكيري، غمرتني في ذلك الصباح الذهبي مشاعر لم استطع فهمها لم تكن السرور والفرح أو نشوة المنتصر أو شعور من ربح الجائزة الأولى في اليانصيب. انه شعور اكبر من كل هذه الأشياء مجتمعة.. لقد أصبحت أبا بعد خمس سنوات من الانتظار!.

عندما نظرت الى طفلي للمرة الأولى شعرت بالإحباط!، أيمكن أن يكون هذا هو الذي انتظرته طويلا؟، انه صغير جدا ولكن هنالك شيء سحري يشدني إليه وعلى الرغم من صغر حجم وجهه إلا أن عينيه تبدوان كبيرتان واوضح شيء في ملامحه. كنت أراقب نموه يوما بعد يوم مثلما يراقب المزارع أجمل الورود في حقله وأتفحصه مثلما يتفحص الصائغ أغلى جواهره.. "انه يكبر بسرعة و يكبر معه فرحي" هكذا كان يقول لي دائما.

كان صديقي شخصا مرهف الإحساس وكان الحزن العميق الممزوج بالسخرية اللاذعة هو ابرز سمات شخصيته، وهو كالكثيرين من زملائنا الخريجين الذين يعملون خارج ميدان اختصاصهم أعمالا تفوق تحملهم.. كان يشعر بالفشل واللا انتماء ولم تكن تربطه بالحياة إلا خيوط واهية.. إن ثقل الواقع الأليم الذي لا يستطيع حتى التعبير عنه -لأنه من الجرائم الكبرى- مضافا إليه عبء العمل الشاق والحرمان بكل أشكاله المادي والمعنوي والفكري كل ذلك حفر في روحه جرحا عميقا لا يندمل. لكنه الآن إنسانا أخر وقد سيطر الفرح المفاجئ على الجانب المظلم من حياته وأصبح طفله هو كل شيء.. انه يطعمه، يحممه، يلاعبه ويراقب كل كلمة جديدة يلفظها وكل حركة إضافية يقوم بها، كنت اسمعه يقول: عندما أعود من عملي أنسى كل تعبي بمجرد رؤيته ينتظرني عند عتبة البيت، انظر إليه "انه النور الوحيد الباقي في حياتي".. هكذا كان يقول لي دائما.

إن الحياة تضيق بسعادة البؤساء وكأن الهواء مليء بالأرواح التي تكره سعادة الفقراء على وجه الخصوص.. زرت صديقي آخر مرة كان "أزل" وهو اسم طفله المدلل يلعب ويمرح ويغني ولم يكن للمرض أي اثر على قسمات وجهه، إلا أن والده كان مصرا على أن يأخذه ويعرضه على طبيب اختصاص للأطفال، فقد كانت رقيته تؤلمه أحيانا وكنت أقول له دائما بأنه أمر عادي ولا يحتاج الى طبيب فهي تشنجات بسيطة يتعرض لها اغلب الأطفال الصغار، غير انه لم يقنع بكلامي، فأخذناه الى الطبيب كم كانت المفاجئة كبيرة عندما قال لنا: "إن هذا الطفل طحاله كبير" ويجب أن يبقى في المستشفى لإكمال الفحوصات اللازمة وقد يكون السبب ملاريا أو تيفوئيد أو حمى أخرى، أجرينا كل الفحوصات المطلوبة للدم و الإدرار ولم تشخص الحالة.. الاشعة والسونار لم يتبين نوع المرض، فقط هناك "كتلة فوق كليته اليسرى" لذلك طلب الطبيب المختص فحصا آخر لم نسمع به من قبل وهو "زرع نخاع العظم" فأخذناه إلى المختبر المطلوب وكان يقع خارج المستشفى.. عندما دخلنا الى المختبر كانت عيون العاملين هناك تنظر الى الطفل وأبيه نظرات تنم على شفقة.. انتظرنا أكثر من ساعة كانت دقائق طويلة كأنها دهور.. بعدها ظهرت نتيجة الفحص "انه ورم خبيث" لقد كانت لهذه الكلمات وقع الصاعقة على الوالد المسكين.. هز الطبيب رأسه ووقع الأب مغشيا عليه من هول الصدمة "يا الهي كيف يمكن ان يصيب مرض كهذا طفلا لم يكمل عامه الثاني بعد؟!" و أنا الآن أتساءل "من هو الميت حقا؟ أهو الطفل البريء الذي دفناه قبل أيام؟ أم والده الذي يجلس حزينا في زاوية الغرفة وعيناه خاليتان من البريق والدموع؟!!.